



١٩٣٣

السنة العادية والثلاثون

سنة الفداء

بقلم الاب يونس مورتد البسوعي

قداسة الحبر الاعظم افتتح بنشوره « Quod nuper » يوملاً خارق
 العادة ، في هذه السنة ١٩٣٣ ، للاحتفال بمرور تسعة عشر قرناً على
 سرّ الفداء العظيم . ولقد قال نفسه ، في خطاب القاه في عيد الميلاد
 سنة ١٩٣٢ ، ان هذه السنة المختارة « توافق رأي عامة المؤمنين الذين
 يحملون ، دون ما تفتيش او بحث ، السنة الثالثة والثلاثين من حسابنا الجاري
 تاريخاً لوفاة المخلص » .

واذاً فليس في منشور الاب الاقدس ما يقيد سلطة نائب المسيح المصومة عن
 الخطأ . فهو لا يقرّر السنة ٣٣ ك تاريخ حقيقي لسرّ الفداء ، ولا يتدخل في مجادلات
 المؤرخين وعلماء التفسير . وبكفينا ، في ذلك ، ان نتحقق الشك الذي صرح
 به في الجملة الثانية من المنشور اذ قال : « إنه ، وان لم تكن على قام اليقين
 من السنة التي حدث فيها هذا السرّ العظيم ، فلا يمكننا ان نقابل بالسكوت

ذكرى هذا الحادث ، بل ذكرى هذه السلسلة من الحوادث العجيبة الفائقة الالهيّة .

على ان افتتاح هذا اليوبيل لفت انظار العالم المتمدّن باجمعه الى وفاة المسيح ، فأثار مشكلةً قديمة كثيراً ما عالجها علماء التفسير ، وانهم ليعودون اليها اليوم ، وقد اصبح الشبّ بكامله يهتم بها بفضل هذا اليوبيل ، الا وهي سنة وفاة المسيح . واننا لنتقد ان قرأ . « المشرق » يتشرفون كغيرهم الى الاطلاع على هذا الامر ، فتدري من واجبت ان نلتخص لهم حالة المسألة الحاضرة .

لا يخفى ان كتبة الاناجيل كانوا ، كغيرهم من مؤرخي العصر القديم ، لا يهتمون الاهتمام الكافي بذكر سني الحوادث التي يدعونها . حتى اننا لا نرى الا واحداً منهم ، هو القديس لوقا ، يشير مرة واحدة (١ : ٣) الى تاريخ احدى الحوادث فيقول ان يوحنا المعمدان بدأ بعثته « في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر » . ثم يعدد بعض الظواهر المرافقة لهذا الامر ، دون ان يشير الى سنة صريحة ألا « الخامسة عشرة من ملك طيباريوس » كما تقدم . على ان هذا التاريخ نفسه لا يخلو من اضطراب والتباس ، كما ستري ، بالنسبة الى من يقرأه في القرن العشرين .

وعليه ، أفنكون صفراً من كل دليل يمكننا من ان نعين ، وان تقرّباً ، تاريخ السنة التي حصل فيها فداؤنا ؟ لا ، واليكم الاسباب :

كما ان وفاة هيرودس الكبير ، التي حدثت في السنة الرابعة قبل ابتداء حسابنا الجاري ، يمكننا من جعل ميلاد المسيح ، لا في السنة الاولى من الحساب المذكور الذي وضعه الراهب دينيس الصغير (Denys le Petit) بل في الفترة الواقعة بين السنة التاسعة والرابعة ، كذلك يمكننا ، بالاستناد الى بعض الحوادث التاريخية المتعددة والمتنوعة ، ان نقرب كثيراً من الواقع في تقرير سنة الفداء والقيامة .

وارل ما يجب علينا الانتباه له في هذه الحوادث التاريخية وجود يلاطس البنطي حاكماً في اليهودية على عهد آلام المسيح . ونحن نعظم ، بواسطة المعلومات المستقاة من تاريخ يوسفوس اليهودي ، ان هذا الوالي خلع في السنة ٣٦ من

حسابنا ، بعد ان اقام في ولايته عشر سنوات اي من ٢٦ الى ٣٦ . فينتج ان سنة الفداء تنحصر بين هذين التاريخين . وهو استنتاج اول تزيده وضوحاً اذا ما انتبهنا ، من جهة الى ان ييلاطس المذكور كان والياً قبل ابتداء حياة المسيح العامة ، ومن جهة اخرى الى ان اهدا . يولس الرسول ، الذي لا يمكن ان يتأخر عن السنة ٣٦ ، لا يمكن كذلك ان يكون قد حدث بعد وفاة المسيح باقل من ستين .

بقي علينا ان نبحث في مدة حياة المسيح العامة . ولا يخفى ان اعتقاد الجمهور الكبير من المؤمنين ان هذه الحياة دامت ثلاث سنوات . على اننا نرى من الواجب ان نقول ، وان فاجأنا اعتقاد الجمهور ، ان هذا الرأي غير ثابت تماماً . فان ما يورده القديس يوحنا عن الاعياد الفصحية الثلاثة (٢ : ١٣ ، ١٦ : ١٣ ، ١ : ١٣) التي حدثت خلال رسالة المسيح ، يفيد ان هذه الرسالة دامت ستين على الاقل ، ولكن لا يمكن من الاقرار انه تتابعت على مدة سنة ثالثة ايضاً . ولهذا اختلف العلماء في هذه النقطة ، فتباينت آراؤهم بين الستين والثلاث . وعليه فاننا بالنظر الى جميع هذه الحوادث نجدنا مدفوعين الى التقدم خطوة في تقرير سنة الفداء ، فالى حصرها بين الستين ٢٨ و ٣٦ .

ولكن لا يمكننا ان نترك المشكل عند هذه النقطة . واي سنة يجب اختيارها ، بين هذه السنوات السبع ، تاريخياً للفداء ؟ وهنا نرى امامنا طريقين للوصول الى نتيجة ترجيحية : الاولى طريق البحث التاريخي المحض ، والثانية طريق الحساب الفلكي .

اما الاولى فتصف بكونها غير مباشرة تماماً ، وغير متوافرة الدقة لسوء الحظ . وهي تكون بالتفتيش عن تاريخ تلك السنة الخامسة عشرة لملك طياريوس التي ذكرها القديس لوقا موافقة لابتداء حياة المسيح العامة . فمتى بدأت هذه السنة ، وبالتالي متى بدأ ملك طياريوس ؟ سؤال سهل واضح لاول وهلة . الا ان البحث فيه اوصل المفتين الى اختلاف يذكر . اذا اعتبرنا السنة الخامسة عشرة جارية على الحساب العادي ، اي بكونها تبدأ من السنة الرابعة عشرة لوفاة اغوستوس ، نرى انها تدوم من ١٩ آب سنة ٢٨ الى ١٩ آب سنة ٢٩ .

فمكون النتيجة من ثم ان آلام المسيح حدثت في السنة ٣١ على اقل تقدير ، او في السنة ٣٣ على الابد . وبالتالي يجب ان نجعل للمسيح ، او ان اعتلده ، سنًا تجاوز الثلاثين سنة التي يذكرها القديس لوقا (٢٣ : ٣٦) عمرًا تقريباً ليسوع في ذلك الوقت . وذلك لما اشرنا اليه سابقاً من ان المخلص ولد لا في السنة الاولى للحساب الميلادي الجاري ، بل في السنة الرابعة او الخامسة قبله .

فكان ان تراجع البعض من العلماء امام هذه النتائج المستخرجة من افادة ابعاد من ان تكون جليلة الوضوح ، فطاولوا ايجاد طريقة جديدة لحساب السنة الخامسة عشرة من ملك طياريوس . فلجأوا الى فرضية قواها ان سني ملك طياريوس يجب ان تحسب ، لا ابتداء من موت اغسطس ، بل اعتباراً من اشارك طياريوس بالملك قبل وفاة سالفه بستين او ثلاث . وهكذا تأخر موافقة السنة الخامسة عشرة الى نحو السنة ٢٦ للميلاد . ولكن هذه الفرضية لم تسلم من الانتقاد ، فلاحظ بعضهم انه لم يُعثر قط على رقيم ، ولا على قطعة نقود ، ولا على اي اثر تاريخي يفيد هذه الطريقة في حساب سني الامبراطور طياريوس . بيد انهم يعتبرون ان القديس لوقا ، على كونه بدأ منذ موت اغسطس ، جرى في حسابه على الطريقة الشرقية اي انه اخذ يحسب السنوات من تشرين الاول ، وهو الشهر الذي كان يفتح السنة في الشرق القديم . وعليه تكون السنة الثانية لملك طياريوس مبدوءة بتشرين الاول الذي يتلو وفاة اغسطس ، فتكون السنة الخامسة عشرة مبدوءة بتشرين الاول سنة ٢٢ .

وبفضل هاتين الطريقتين يمكن هؤلاء العلماء من ان يقدموا تاريخ الآلام الى السنة ٢٩ او ٣٠ .

على ان ما يفيدنا الآن هو ان السنة ٣١ وبالتالي السنة ٣٥ والسنة ٣٦ اصبحت خارجة عن محيط البحث . واذن فقد أصبح زمن الفداء محصوراً بين السنوات ٢٦ و ٣١ .

افيحسن بنا ان نقف هنا في البحث ؟ لا لان لدينا لحسن الحظ ، طريقة أخرى تنم هذه التفتيشات على اسلوب اوفر دقة ووضوحاً ، وهي الطريقة الفلكية وكثيراً ما ساعد حسابها الدقيق البحوث الموزخين والمفترين .

بما لا شك فيه ان وفاة المسيح حدثت نهار جمعة . وبما لا شك فيه ايضاً ان تلك « الجمعة » وافقت مساء اليوم الذي كان على اليهود ان يأكلوا فيه الفصح كما ذكر القديس يوحنا (٢٨: ١٨) اي اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري . ولا يخفى ان من السهل على علم الفلك ان يستند الى هذه المرافقة بين يوم جمعة ١٤ نيسان ، فيطينا الحل الصحيح للمشكل الحاضر . وهو علم دقيق يقرّر بكل وضوح ، على مسافة قرون ، تاريخ الكسوف الفلاني ، او تاريخ ابتداء قر الشهر الفلاني . واذاً فعلى علم الفلك ان يدلنا في اي سنة من السنين ، بين ٢٦ و ٣٤ ، كان الرابع عشر من شهر نيسان القمري يوم جمعة .

لقد يكون الامر بغاية السهولة ، لو كنا على يقين من ان اليهود — وطريقتهم في بدء الشهور طريقة المسلمين في عصرنا اي معاينة الهلال بالمعين المجردة — تمكنوا دائماً من رؤية القمر الجديد منذ يومه الاول ، فلم يُدفعوا الى اتمام شهر زائد من آن الى آخر . ثم ان هناك صعوبة أخرى ولدها بعض المفترين مأخوذون بكون المسيح قد اتم الفصح قبل آلامه ، فاستخرجوا انه توفي لا في ١٤ نيسان ، ما . العيد ، بل في العيد نفسه اي في ١٥ منه . على ان علماء الفلك انتبهوا لجميع هذه الصعوبات ، فوضعوا الجدوال المتعددة المرافقة للفرضيات المختلفة في المقابلات بين ايام الاسبوع و ١٤ او ١٥ نيسان القمري بما قد يطول بنا شرحه .

ولكننا نكتفي بالنتيجة المهمة . وهي انه ، على طول تلك المدة التي ذكرناها والتي حصرنا ضمنها سنة الفداء ، لا نجد نهار جمعة يوافق ١٤ نيسان الا في ستين ومما السنة ٣٠ والسنة ٣٣ . ففي الاولى وافق ١٤ نيسان القمري نهار الجمعة الواقع في ٧ نيسان الشمسي سنة ٣٠ ، وفي الثانية وافق نهار الجمعة الواقع في ٣ نيسان الشمسي سنة ٣٣ .

وعلى رغم ما يظهر بعض العلماء من الشك بصلاح هذه الطريقة النلكية ، زانا مدفوعين الى القول انها على تقدم دائم في محيط العلم العالمي . واذاً فلم يبق للمفترين والمؤرخين الا ان يختاروا تاريخاً للفداء . بين السنين ٣٠ و ٣٣ . ولكل منها مريدون وانصار لا يفتأون عاملين على اظهار افضلية الواحدة على

الآخرى.

على ان السنة ٣٣ التي اختارها الاب الاقدس تفرض حياة المسيح العامة ثلاث سنوات كاملة اعتباراً من السنة الخامسة عشرة للملك طياريوس محروبة حساباً اعتيادياً. فهي تحل عدة وجوه من المشكل ، وهذا ما يجعلها على قسط وافر من الارجحية . الا ان الاب الاقدس لا يفرض علينا الاخذ بها في منشوره « Quod nuper » ، كما قدمنا . ونحن نعتقد ان ما دفعه الى ذلك هو انه عندما افكر بافتتاح هذا اليوبيل العظيم كانت السنة ١٩٣٠ قد مضت . ولهذا نرى جهوراً من المفسرين الكاثوليك ، ان لم نقل اكثريتهم ، لا يزالون محتفظين بافضلية السنة ٣٠ . ومنهم في ذلك — وهو يخالف التقليد نوعاً — انهم يفرضون ان السنة الخامسة عشرة لطياريس تبدأ على طريقة الحساب الشرقية ، اي من السنة ٢٧ الى السنة ٢٨ . ويفرضون ايضاً ان حياة المسيح العامة لم تتجاوز السنتين . على ان هذا المذهب يتجنب عقبتين ظاهرتين في المذهب الآخر : اولاهما ان المذهب الاول يفرض للمسيح عند موته على الصليب عراً يبلغ ٣٧ سنة على الاقل ، ان لم نقل ٣٩ او ٤٠ ، مما يبعد بنا عن الثلاثين السنة التقريبية التي يشير اليها القديس لوقا (٢٣: ٣) . والمقبة الثانية ان المذهب الاول لا يترك بين موت المسيح واهتداء القديس بولس الا مدة ثلاث سنوات على الاكثر ، وهي قصيرة على اي حال . اذ لا يخفى ان اهتداء بولس الرسول حصل في زمن كانت فيه الكنية قد تأسست وثبتت حتى خارج فلسطين . وقد كانت في دمشق على ازدهار يظهر غير محتمل ان لم نجعل بين زمنه وبين تأسيسها اربع سنوات او خمساً .

والخلاصة ان للقارئ الكريم حق الاختيار . ولكن مها كان اختياره ، ومها ظل من الشك حول سنة الفداء ، فان السنة الحالية التي اشار اليها الاب الاقدس تذكراً لذلك الفداء المجيد ، لجديرة بان تحيي في قلوب جميع المؤمنين امره المواقف واخلص العبادات لذلك السر العظيم .

